المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٥/١٦

د. محمد اسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. ومنه !!

كيف بدأت الصلة بالرئيس أنور السادات ؟

فوجئت بأن « الباشا » الذى يريد أن يرانى هو سيد مرعى

السادات يقرر تعيينى فى هيئة مستشارى رئيس الجمهورية

من الاكتفاء بسلبية السخط إلى التقدم نحو ايجابية العمل

قصة أول لقاء مع منصور حسن غداة تأسيس الحزب الوطنى

وجها لوجه أمام الرئيس السادات فى مبنى محافظة الاسماعيلية

كان الجو قائظ الحرارة .. وطلاب جامعة الأزهر وأساتذتها منشغلون بإمتحانات يونيو ١٩٧٩ .. وكنت خارجا لتوى من كلية الشريعة والقانون التى عملت بها أستاذا للقانون الدولى .

لمحنى الدكتور علوى أمين ، المدرس بالكلية ، وكان يعمل أمينا مساعدا للشباب فى القاهرة ، فى تنظيم الإتحاد الإشتراكى اتجه نحوى وتبادلنا التحية ، وبادرنى بقوله :

ـ الباشا عاوز يشوفك .

اتجه ذهنى فورا إلى فؤاد سراج الدين فلم يكن فى ذاكرتى من الباشوات ، غيره فى ذلك الحين .. لكنى قلت له :

ـ باشا مين ؟

رد على باسما :

ـ المهندس سيد مرعى مساعد الرئيس .. أنا بقوله ياباشا ..

ـ ياحبيبى إنت مش واخد بالك إن الباشوية اتلغت !؟

قال د . علوى بوجهه الباسم وقوامه الرشيق

ـ أهى حاجة كده بتدل على الإحترام ..

وضحكنا معا .. لكن لم يختف من ذهنى مغزى جملته الأخيرة !! ذلك أن معناها ، أن افتقاد الإحترام فى عصرنا الراهن ، لايعيبه إلا الرجوع إلى الماضى !!!

اتفقت ود . علوى على ترتيب موعد لقاء مع المهندس سيد مرعى مساعد الرئيس فى مكتبه بمبنى الإتحاد الإشتراكى على كورنيش النيل ..

وتوجهنا إلى هناك معا .. وكان هناك المرحوم المهندس محمد حسن حلمى (زامورا) رئيس نادى الزمالك ، فى إنتظار موعد مع مساعد الرئيس ..

تركنى الدكتور علوى أدخل مكتب المهندس سيد مرعى وحدى وذهنى خال تماما إلا من تلميح د . علوى ، بضرورة إنضمامى إلى أمانة شباب العاصمة .. وتصورت أن الكلام سينصب على ذلك .. فدخلت معتزما الاعتذار ..

أستقبلنى هاشا باشا ، بشعره الأبيض المهيب وقامته الطويلة المشوقة ، وصوته المميز ، وكلماته تنبىء عن مستوى القمة ، الذى ينتسب إليه .

بدأ المهندس سيد مرعى حديثا ودودا ، وسأل عن أشياء كثيرة عنى ، ثم قال :

ـ الريس معجب بمقالاتك فى الأهرام جدا .

تلعثمت وأنا أقول .. متشكرين أوى ..

فاستأنف الكلام :

ـ وخصوصا المقال الأخير عن القوس العدائى المحيط بمصر من ليبيا فالسودان ، فالسعودية ..

وكانت العلاقات متوترة بين مصر وهذه الدول فى ذلك الحين .. وقبل أن أشكره مرة ثانية باغتنى بقوله :

ـ والريس عينك فى هيئة مستشارى رئيس الجمهورية .

□ لم استطع أن أعقب .. فقد كان موضوع الحديث مفاجئا لى .. ولم يكن هو ماتوقعته عن طلب إنضمامى لأمانة الشباب بالعاصمة .. بل انصب أساسا ، على موضوعين ، هما متابعة السادات لمقالاتى بالأهرام ، وإعجابه بها ، وضمى إلى هيئة مستشارى الرئيس ..

خرجت متوجها إلى محطة أتوبيس ميدان التحرير سيرا على الأقدام ، وفى ذهنى مايردده زملائى من أساتذة الجامعة وبعض الأقلام الحزبية ، من ان السادات يدفع لى عن مقالاتى مبالغ طائلة ، وأننى أتحدث بلسانه !!

كنت أريد أن اقابلهم واحدا واحد لأقول لهم أن العكس هو الصحيح .. لان مقالاتى هى التى لفتت انتباه السادات وأبدى إعجابه بها .. وفكرت فى كتابة مقال عن ذلك ، لكنى شعرت أنه سيكون مقالا غير ملائم .. لذلك كتبت بدلا منه مقالا عن الموافقة والتوافق ، أشرح فيه أنه إذا كان هناك تماثل بين مايكتبه كاتب وماتترسمه حكومة من سياسات ، فليس ضروريا أن يكون ذلك نتيجة (موافقة) الكاتب على سياسات الحكومة ، او

موافقة الحكومة على كتابات الكاتب بل إن التماثل قد يكون نتيجة (توافق) فى الأراء فالموافقة فيها تبعية شخص لآخر ، و(التوافق) فيه إستقلال فى الرأى ..

□ على أن الأيام مضت وقد بدالى أنه ليس هناك من أثر لهذه المقابلة .. فلا أتصل بى أحد من مكتب المهندس سيد مرعى ، ولاقال لى أحد فى الأهرام نفس الكلام ..

وكنت فى ذلك الحين واحدا من القراء الذين يرسلون مقالاتهم إلى الصحف ومنها الأهرام . وكانت مقالاتى تحظى بالنشر الفورى وقد فسر لى الأستاذ صلاح منتصر المشرف أنذاك على صفحة الرأى فى مقابلة معه بعد نحو خمس سنوات من الكتابة بالأهرام ، أن مقالاتى تنطوى على فكر اكاديمى وأسلوب الصحفى ..

وقد شجعنى هذا التفسير كثيرا ، وبدالى اننى بدأت أكتشف نفسى كاتبا فى نهاية العمر !!

□□□

وكنت عائدا إلى بيتى ، فى أغسطس ١٩٧٩ ، حين أخبرتنى زوجتى أن شخصا إسمه (منصور حسن) اتصل بى ، ويطلب منى أن أقابله فى مقر الحزب الوطنى الديمقراطى الجديد فى عابدين !! كنت قد قرأت أسم منصور حسن لأول مرة فى تشكيل قيادات الحزب

الوطنى ولم يسبق لهذا الإسم أن ظهر فى ساحة العمل السياسى ..

لكن توجهت إلى (منصور حسن ، فى الموعد المحدد بعد أن أعيانى البحث عما لايعرفه الناس فى الحين ، وهو (الحزب الوطنى) وخصوصا أن مقره لم يكن داخل قصر عابدين نفسه ولكن فى مبنى ملحق به فى شارع البستان ، أظنه كان للمطافىء أو للحرس .

وكان المبنى كخلية نحل ، يعج بالبشر ... وعثرت على منصور حسن بصعوبة بالغة ، فى غرفة فيها أكثر من مائة شخص !! وكان هذا أول لقاء لى مع هذا الإنسان العظيم خلقا وعلما ولم يكن فى اللقاء الاول أية تفصيلات عن شىء محدد بالذات الا تحديد موعد آخر فى مكان آخر هو مكتب مدير مكتب الرئيس لشئون الحزب ، فى ١١ شارع حسن صبرى بالزمالك .

كان منصور حسن ، قد اتخذ مكانه فى صدارة الحزب منذ تكوينه ، وكان أول ماشغله هو (مدير مكتب الرئيس لشئون الحزب الوطنى) .

□ وذهبت للموعد المحدد فى المكان المحدد .. حيث كان فى استقبالنا السيد حسن وزيرى ونبيل رشوان الصحفى بدار الهلال ، وصلاح اسماعيل ،مدير سكرتارية مكتب الاستاذ منصور حسن .

كان هناك عدد كبيرمن اساتذة

الجامعة ، فى نفس القاعة التى ننتظر فيها ظهور منصور حسن . وبعد دقائق حضر بإبتسامته الودودة والمشرقة ، صافحنا جميعا ، وبدأ يتحدث وانصت له لأول مرة ..

كان منطقة سليما استطاع من خلاله ان يتسلل الينا دون عناء فقد انصب حديثه على القول بأن لدينا جميعا قدرا من السخط على الأوضاع .. فمن الذى يقوم بالاصلاح ؟ ولدينا سخط على تجربة حزبية فاشلة ، فمن الذى يقوم بالاصلاح ؟ ثم ان لدينا سخطا على تجربة هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى فما هو البديل ؟

قال ان الحزب الوطنى قد قام لجمع جهود ابناء مصر المخلصين وانه من الطبيعى ـ كما حدث فى الاتحاد الاشتراكى ـ ان يقفز اليه الانتهازيون واصحاب المصالح .. لكن هل نكتفى بالشكوى ونقف مكتوفى الايدى ؟ لماذا لا نتقدم الصفوف ، ومصر بلدنا ؟ لماذا نكتفى بسلبية السخط ولانتقدم نحو إيجابية العمل ؟

ورغم ذلك الذى قاله بمنطقة السلس السليم ، إلا اننا قلنا ، لا نريد أن ننضم لحزب لا نعرفه ..

وكانت إجابته مفحمة :

ـ ليس هناك أى الزام على احد ، بالانضمام للحزب .. المهم ان نستفيد بعلمه وبخبرته وبعمله .. وأنتم وحدكم الذين تقررون متى يكون الانضمام ..

إننى اريد عملكم وإخلاصكم ولا أسعى الى عضويتكم أبدا ، فالعضوية متروكة لكم تماما .

□ اعجبنى منطق وأسلوب منصور حسن فى الكلام ، واقتنعت بكل ما قاله ، وتساءلت فى نفس ، اذا كنا سنكتفى حقا بالسخرية والسخط والنقد ، فمن هم الذين تنهض مصر على اكتافهم ؟ هل نتركها هكذا ونكتفى بدور المتفرج ؟

وانتهى الاجتماع وفى ذهنى تصور واضح هو انه لابد لى من الانخراط التام فى العمل من أجل مصر ، (بجوار الحزب الوطنى) وليس (بداخله) !!

وفى اجتماعات متتالية ، توثقت صلتى بمنصور حسن كثيرا ، حيث كانت أفكارنا تتلاقى دائما ، وأحسست بالفعل أن مجرد معرفتى بهذا الشخص مكسب كبير ، فقد كان نقى السريرة ، ابيض القلب ، مقنعا فى الحديث بمنطقة السليم وخفوت صوته وهدوئه وابتسامته التى لا تفارقه أبدا ..

□ وبدأت هذه (المحبة) المتبادلة تنعكس على تكليفات كان منصور حسن يبلغها لى ، مثل اعادة صياغة كتابات مختلفة للرئيس ، سواء كان ذلك خطابا يلقيه أو كتابا يعكف على تأليفه .

واذكر ان أحد التكليفات بمراجعة كتابه للرئيس ، إستدعى أن استمر للفجر فى مكتب منصور حسن بالزمالك ، مما أقلق أسرتى ، فظنت انه قد القى القبض على بعد استدراجى !!

لذلك كان رجوعى للبيت ، مصحوبا بزغرودة الفرحة وعودة السجين .. ورغم أن كثافة العمل ، كانت تتزايد يوما بعد يوم ، وكان تغيبى عن البيت يستمر طوال اليوم ، فقد كان ذلك يمثل بالنسبة لى اول تجربة سياسية فعلية أخوضها .

□ □ □

وبدأت هذه التجربة تتنقل من مرحلة الاجتماعات التحضيرية الى مرحلة انشاء مركز الدراسات الوطنية للحزب الوطنى .

وكانت فكرة هذا المركز رائعة ـ ولاتزال رائعة ـ لانها تقوم على اساس اختيار عناصر ذات كفاءة جماهيرية سياسية نقية لم تلوثها شائعة ، وتثقيفها ـ سياسيا ـ ثم دفعها أن ارادت للعمل الحزبى !!

وكان منصور حسن مؤمنا ايمانا مطلقا بالحرية السياسية والاقتصادية .. وكان يرفض أن يكون مركز الدراسات الوطنية صورة من المعهد الاشتراكى أيام عبد الناصر . لذلك كان هدفه خلق إنسان مستنير .. يصلح للعمل فى الحزب الوطنى أو التجمع أو الوفد او الاحرار أو العمل !!

ومن الطبيعى أن يكون هذا الطرح مثيرا وغريبا علينا .. فليس فى مناهج المركز ، ما يشير الى الحزب الوطنى ، ولا الى ايدولوجية معينة ، ولا حتى برنامج الحزب الوطنى نفسه .. وإنما يدور البرنامج التثقيفى حول دراسة اوضاع

مصر السياسية والاقتصادية وأوضاع العرب والعالم عموما .. لأن الهدف النهائى ، هو خلق (كادر حزبى عام) مثقف سياسيا واقتصاديا ، وليس خلق (كادر حزبى خاص) بحزب معين .

□ وقد بدأنا نكثف من اجتماعاتنا بمقر المركز فى ميدان روكسى بمصر الجديدة ، وبدأ المحافظون يتوافدون على المركز من سائر المحافظات ، وقد تعرفت على عدد كبير منهم ، لايزال بعضهم (فى الخدمة) الآن ، مثل عمر عبد الآخر ، الذى كان محافظا للقليوبية ، وهو أقدم محافظ موجود فى الخدمة الآن فى مصر وأعتقد أن عمله ونجاحه فيه هو الذى تنقل به من القليوبية الى الجيزة الى القاهرة وأبقاه حتى الآن .

وكانت هناك وفودا أخرى ، من (طالبى الود) الذين ظنوا أن (مصطبة العمدة) قد بدأت تستقبل أفواج الدردشة وقضاء المصالح .. وكانوا دائما ، ما يعودون مكسورو الجناح ، بعد أن يتم افهامهم ان المركز ، ليس مصطبة الاتحاد الاشتراكى أو الحزب الوطنى ، ولكنه غرفة للعناية المركزة من اجل مصر فقط ..

وكان دورى الى جانب منصور حسن دائما فى ذلك المركز ، ولم يكن هناك أى شىء حقيقى مباشر قد بدأ بينى وبين السادات .. بل إن منصور حسن ، كان كثيرا ما

يقول لنا إن الرئيس يرتب لزيارة المركز والالتقاء بنا ..

وكان معنا من الوجوه التى لمعت بعد ذلك - وحتى الآن - د . عاطف صدقى و د . سلطان ابو على و د . مصطفى السعيد والأستاذ صفوت الشريف وكمال الشاذلى ، و د . رمزى الشاعر وغيرهم ممن تولوا مراكز مرموقة فيما بعد .

وكنا فى الواقع ننتظر لقاء الرئيس بنا ، للاستماع الى وجهة نظرة شخصيا .. وهو ما حدث بعد ذلك ..

فقد تم إخطارنا بتحرك سيارات ميكروباص خاصة من امام المركز ومعنا وجبة فطور من (الجاتوه) أشرف على اعدادها دينامو المركز آنذاك الدكتور عبد المنعم جنيد ..

وفى أقل من ساعتين كنا أمام
مبنى محافظة الاسماعيلية .. ؟
وداخل قاعة امتلأت بنحو ستين
من أساتذة الجامعات ، وجدنا
انفسنا وجها لوجه أمام الرئيس
أنور السادات ونائبه حسنى
مبارك ومنصور حسن وعثمان
أحمـد عثمان ، وعبـد المنعم
عمارة .. وهمت مصطفى مشرفة
عل تسجيل اللقاء !!